# سورة طه

٦٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا .. ۝١٠﴾ الآية.

إن قلت: كيف حكى الله تعالى قول موسى عليه السلام لأهله، عند رؤية النار هنا، وفى «النمل:٨»، و«القصص:٣٠» بعبارات مختلفة، وهذه القصة لم تقع إلا مرة واحدة، فكيف اختلفت عبارة موسى فيها؟

قلت: قد مر فى الأعراف فى قصة موسى عليه السلام، مثل هذا السؤال، مع جوابه، وجوابه ثم يأتى هنا.

٦٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ .. ۝١٢﴾ الآية.

قاله هنا وفى القصص بلفظ «أتى» وفى النمل بلفظ «جاء» لأنهما وإن كانا بمعنى واحد، غاير بينهما لفظًا، توسعة فى التعبير عن الشىء بمتساويين.

وخص «أتى» بهذه السورة لكثرة التعبير بالاتيان فيها، وجاء «بالنمل» لكثرة التعبير بالمجىء فيها، والحق ما فى القصص بما فى «طه» لفور ما بينهما، أى من حيث قوله هنا ﴿يا موسى إنى أنا ربك﴾ وقوله فى القصص ﴿يا موسى إنى أنا الله﴾ وان اختلف محلهما بخلاف ذلك فى النمل.

٦٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾.

قاله هنا: وفى «الحج:١٧» بحذف لام التأكيد، وقاله فى «غافر:٥٩» بإثباتها، لأنها إنما تزاد لتأكيد الخبر، وتأكيده إنما يحتاج إليه، إذا كان المخبر به شاكًا فى الخبر، والمخاطبون فى «غافر» هم الكفار، فأكد فيها باللام بخلاف تينك.

---

٦٣١ ـ انظر البرهان ٢٩٥.

٦٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

ضمير «عنها» و«بها» للساعة، والمنهى ظاهرًا من لا يؤمن بها، وحقيقة موسى عليه السلام، إذ المقصود نهى موسى عن التكذيب بالساعة.

٦٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة سؤاله تعالى لموسى، مع أنه أعلم بما فى يده؟

قلت: فائدته تأنيسه، وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب، وهيبة الإجلال، وقت التكلم معه، أو اعترافه بكونها عصا، وازدياد علمه بذلك فلا يعترضه شك إذا قلبها الله ثعبانًا، إنها كانت عصى ثم انقلبت ثعبانًا بقدرة الله تعالى.

٦٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي..﴿١٨﴾ ﴾ الآية.

هو جواب موسى ـ عليه السلام.

فإن قلت: لم زاد عليه ﴿أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى﴾؟

قلت: قال ابن عباس رضى الله عنهما: أنه سئل سؤالاً ثانيًا: ما تصنع بها؟ فأجاب بذلك. و ذكر ذلك خوفًا من أن يؤمر بإلقائها، كما أمر بالقاء النعلين، أو لئلا ينسب إلى التعب فى حملها، مع المقام مقام البسط، للتلذذ بالكلام مع الرب تعالى، ولهذا بسط فى نفس الجواب، إذ كان يكفى فيه أن يقول: عصا.

٦٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ جعل هنا الجناح مضمومًا إليه، وفى القصص مضمومًا فى قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ لأن المراد به هنا، ما بين العضد إلى الأبط من اليد اليسرى، وبه ثم ذلك من اليد اليمنى، فلا تنافى.

---

٦٣٧ ـ راجع جامع البيان ١٦/١١٩، والقرطبى ١١/١٩٢.

٦٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الشعراء ﴿وإذ نادى ربك موسى أن إئت القوم الظالمين. قوم فرعون﴾ وفى القصص: ﴿فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملاءه﴾.

اقتصر فى «طه» على فرعون، لأنه الأصل بالنسبة إلى قومه، مع سبق طه. واكتفى فى «الشعراء» بذكره فى الاضافة«١»، عن ذكره مفرداً.

وجمع بينهما: فى «القصص» ليوافق قوله: ﴿فذانك برهانان﴾ فى التعدد.

٦٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى «الشعراء»: ﴿ولا ينطق لسانى﴾. وفى «القصص» ﴿وأخى هارون هو أفصح منى لسانا﴾. صرح: بعقدة اللسان فى «طه» لسبقها وكنى عنها فى الشعراء بما يقرب من الصريح، وفى القصص بكناية مبهمة، لدلالة تلك الكناية عليها.

٦٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

إن قلت: هذا مجمل فما فائدته؟

قلت: فائدته الإشارة إلى أنه ليس كل الأمور، مما يوحى إلى النساء، كالنبوة ونحوها، أو التعظيم والتفخيم أولاً، كما فى قوله تعالى: ﴿فغشاها ما غشى﴾ والبيان ثانيًا بقوله: ﴿أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم﴾.

٦٤١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ..﴿٤٠﴾﴾ الآية.

قاله هنا بلفظ الرجع، وقال فى «القصص»: ﴿فرددناه﴾ بلفظ الرد، لأنهما وإن اتحدا معنى، لكن خص الرجع بما هنا، ليقاوم ثقل الرجع، خفة فتح الكاف، والرد بالقصص لتقاوم خفة الرد ثقل ضمة الهاء، وليوافق قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾.

---

«١» أشار إلى قوله تعالى فى الشعراء ﴿قوم فرعون﴾ فقد جاء بالإضافة.

٦٤٠ ـ راجع تفسير «تأويل مشكل القرآن» ٣٧٣.

٦٤١ ـ انظر التفسير الكبير للرازى ٢٢/ ٥٠.

٦٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً .. ﴿٥٣﴾ ﴾.

قاله هنا بلفظ «سلك» وقاله فى الزخرف بلفظ «جعل» لأن لفظ السلوك مع السبل أكثر استعمالاً من «جعل» فخص به «طه» لتقدمها وبـ «جعل» الزخرف، ليوافق«١» التعبير به قبله مرة وبعده مرارًا.

٦٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ أخّر موسى عن هارون مع أن هارون كان وزيرًا له، لموافقة الفواصل.

٦٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ أى لا يموت فيها موتًا متصلاً، ولا يحيا حياة متصلة، بل كل ما مات فى مدة العذاب، أعيد حيًا ليدوم العذاب، وإنما قدرنا ذلك، لأن الموت والحياة لا يرتفعان عن الشخص.

٦٤٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾.

أى لا تخاف إدراك فرعون ولا تخشى غرقًا فى البحر، وإلا فالخوف والخشية مترادفان، وغاير بينهما لفظا رعاية للبلاغة.

٦٤٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾.

إن قلت: صدره يغنى عن عجزه، فكيف ذكر العجز؟

قلت: المعنى وما هداهم بعد ما أضلهم، فإن المضل قد يهدى بعد إضلاله، أو ما هدى نفسه، أو أضلهم عن الدين، وما هداهم طريقًا فى البحر.

٦٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ .. ﴿٨٠﴾ ﴾.

إن قلت: المواعدة كانت لموسى عليه السلام لا لهم، فكيف أضيفت إليهم؟

---

٦٤٢ ـ راجع الفخر الرازى ٢٢/ ٥٠.

«١» كذا بالأصل.

٦٤٥ ـ تفسير الطبرى ١٦/ ١٤٣.

قلت: لما كانت لانزال كتاب لهم، فيه صلاح دنياهم وأخراهم، أضيفت إليهم لهذه الملابسة.

٦٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾.

إن قلت: هذا سؤال عن سبب العجلة، فإن موسى لما واعده الله تعالى، حضور جانب الطور لأخذ التوراة، اختار من قومه سبعين رجلاً يصحبونه إلى ذلك، ثم سبقهم شوقًا إلى ربه تعالى، وأمرهم بلحاقه، فعوتب على ذلك، فكيف طابق الجواب فى الآية السؤال؟

قلت: السؤال تضمن شيئين: إنكار العجلة، والسؤال عن سببها، فبدأ موسى بالاعتذار عما أنكر تعالى عليه، بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير، لا يعتد به عادة، ثم عقب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾.

٦٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ «فنسى» أى ترك، ولهذا قال بعد ذلك ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾.

٦٥٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾.

إن قلت: الخطاب لآدم وحواء، فكيف قال: «فتشقى» دون فتشقيا؟

قلت: قال ذلك لأن الرجل قيم امرأته، فشقاؤه يتضمن شقاءها، كما أن سعادته تتضمن سعادتها. أو قاله رعاية للفواصل، أو لأنه أراد بالشقاء: الشقاء فى طلب القوت، وإصلاح المعاش، وذلك وظيفة الرجل دون المرأة.

٦٥١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾.

إن قلت: هل يجوز أن يقال: كان آدم عاصيًا، غاويًا، أخذًا من ذلك؟

قلت: لا، إذ لا يلزم من جواز إطلاق الفعل، جواز إطلاق اسم الفاعل، ألا ترى أنه يجوز أن يقال: تبارك الله، دون تبارك، ويجوز أن يقال: تاب الله على آدم دون تائب!!

---

٦٤٩ ـ النسيان هنا بمعنى الترك.

٦٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا .. ﴿١٢٤﴾﴾ الآية. أى حياة فى ضيق وشدة.

فإن قلت: نحن نرى المعرضين عن الإيمان فى أخصب عيشة؟

قلت: قال ابن عباس المراد بالعيشة الضنك: الحياة فى المعصية، وإن كان فى رخاء ونعمة.. وروى أنها عذاب القبر، أو المراد بها فعيشة فى جهنم.

٦٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾. الكلمة قوله تعالى: ﴿سبقت رحمتى غضبى﴾.

أو قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم..﴾.

أو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. يعنى لعالمى أمته، بتأخير العذاب عنهم وفى الآية تقديم وتأخير أى ولولا كلمة من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لزامًا لهم كما لزم الأمم التى قبلهم.

٦٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾﴾.

إن قلت: كيف جمع بين هذين، مع أن أحدهما يغنى عن الآخر؟

قلت: المراد بالأول السالكون، وبالثانى: الواصلون.

أو بالأول الذين مازالوا على الصراط المستقيم، وبالثانى الذين لم يكونوا على الصراط المستقيم ثم صاروا عليه.

أو بالأول أهل دين الحق فى الدنيا، وبالثانى المهتدون إلى طريق الجنة فى العقبى، فكأنه قيل: ستعلمون من الناجى فى الدنيا، والفائز فى الآخرة.

**« تمت سورة طه »**

*********

٦٥٣ ـ راجع القرطبى ١١/ ٢٦٠، والدر المنثور للسيوطى ٤/ ٣١٢.